



جمعية أمسيا مصر (التربية عن طريق الفن)
المشهرة برقم (٥٣٢٠) سنة ٢٠١٤
مديرية الشؤون الإجتماعية بالجيزة

رؤية معاصرة لتعليم الفنون الإبداعية

أ.د . سمية عبد الرازق صدقي

أستاذ مناهج البحث وطرق تدريس التربية الفنية

جامعة حلوان - كلية التربية الفنية

رؤية معاصرة لتعليم الفنون الإبداعية

أ. د. سريه عبد الرزاق صدقي

أستاذ مباح وطرق تدريس التربية الفنية
جامعة حلوان. كلية التربية الفنية.

مقدمة

تقدم هذه الدراسة رؤية نقدية معاصرة تتضمن رفضاً للتصورات والتطبيقات التقليدية لتعليم التربية الفنية كأنشطة ترفيهية، أو كأنشطة موجهة للموهوبين فقط، والمبنية على استهداف التربويين في القرن الماضي بدفع الأطفال إلى تحصيل كم وافر من المعارف، وتنمية قدرتهم على السلوك المنضبط، والمقبول اجتماعياً من خلال تلك النزعة القيسية أو التعميمية التي تختزل التعليم في أرقام وقياسات ومدرجات تقليدية تحاصر العقل وتحد من إمكانيات التفكير عند الإنسان.

ومع بداية القرن الحادي والعشرين شهدت الدراسات العديدة التي ترسم منظورا مغايرا لما سبقت الإشارة إليه، من خلال بناء رؤية منظوميه أكثر شمولاً لتناول العلاقة بين تعليم التربية الفنية وتنمية التفكير والأبداع، والحاجات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وتأهيل الفرد للتمكن من مهارات الحياة والعمل في القرن الواحد والعشرين

لقد اجتاحت العالم في الآونة الأخيرة العديد من التغيرات في المجالات المختلفة ، وصاحب ذلك تغير ملموس في المفاهيم وبعض المسلمات ،مما فرض التوقف لبرهة وتأمل الواقع المحيط بنا ، فالمنافسة العالمية صاحبت تغير ملموس في احتياجات سوق العمل، وهذا ما ناقشه كتاب "العالم مسطح " " the world is flat " للكاتب "توماس فريد مان" Thomas Fried man علم ، ٢٠٠٥، الذي ناقش كيف أصبحت العلاقات بين الدول متصلة ومترابطة ومؤثرة في بعضها البعض ،وأن انهيار اقتصاد إحدى الدول يؤثر بقوة في سائر الدول - وقد تحقق ذلك فعليا وظهر تأثيره على اقتصاديات الأفراد وفرص العمل المتاحة عالميا كما أنه لم يعد كافيًا تأهيل الأفراد على المستوى المحلي أو الإقليمي فقط لأن مضمار المقارنة والمنافسة قد أصبح كونيا.

لقد مر العالم في العديد من المراحل والثورات منذ عصر الصيد، والثورة الزراعية، إلي الثورة المفاهيمية، التي أشار إليها "دانيال بنك" Daniel Pink في كتابه "عقل جديد" " A Whole new mined " عام ٢٠٠٥، موضحا استحالة الاعتماد علي وظائف الجانب الأيسر من المخ وحدها في توجيه التعليم لمحدوديته أمام المشكلات التي تواجه العالم. وتحتاج إلي حلول غير تقليديه وتوظيف مهارات وقدرات جديده وضرورية للعمل، مثل المتعة والأبداع والتجديد والتعاطف والإلهام، والقدرة على الربط بين العناصر والأحداث لتكوين شيء جديد، وهي الوظائف التي تتطلب تفعيل الجانب الأيمن من العقل.

لقد ربط "دانيال بنك" بين الأبداع والذكاء والمشاعر، حيث قدم مفهومين أساسيين للنجاح في هذا القرن (المفاهيم العليا، والأحاسيس المرهفة "اللمسات الراقية") من خلال توظيف المفهومين:

- **المفاهيم العليا**، تربط بين تنمية مهارات التفكير العليا مثل اكتساب النظم والتعبير الإبداع الجمالي والفني والعاطفي، كما وظف بنك البعد المفاهيمي في إطار قصصي كي يربط الأشياء والأفكار والأحداث التي تبدو غير مرتبطة، مكونا شيء جديد.
- **الأحاسيس المرهفة**، والتي أكد فيها على أهمية أن تشمل الخبرة على البعد الإنساني، والمشاركة من خلال تنمية القدرة على التقمص العاطفي والإحساس بالآخرين والتعاطف معهم، وفهم الأبعاد الدقيقة للتفاعلات الإنسانية واكتشاف متعة الحياة الذاتية، والقدرة على نشرها بين الآخرين وأن يتسع التفكير خارج الإطار المألوف والعادي، في سعيه لتحقيق الأهداف والمعاني العليا، والقدرة على رعاية المحيطين.

وقد الحق " فريد مان" كتابه الأول بمقال " التعليم في عالم مسطح Education in flat world "والذي نادى فيه بضرورة تدريس الفنون والموسيقى واللغات والأداب بالتوازي مع تدريس العلوم والتكنولوجيا، مما

يمكن الطلاب أن يعيشوا حياة أفضل، ومستويات مهنية تلائم احتياجات سوق العمل، وتوفر لهم مكانة مادية ومعنوية مناسبة.

ونتيجة لتلك الاتجاهات الفكرية شهد القرن الحادي والعشرين تحولاً واسع المدى في النظرة إلى التعليم بصفة عامة والنظرة إلى تنمية العقل وليس المعرفة، وعلى كلية الخبرة، في إطار الكونية والكوكبية، ولم يعد الهدف أعداد خريج على دراية وتمكن من جوانب المعرفة، ولكن إعداد خريج قادر على التنافس والنجاح في الحياة، والعمل على المستوى العالمي.

فقد تطورت أهداف التعليم نتيجة لتتابع أهدافه النابعة من تتابع الثورات الاقتصادية والاجتماعية عبر العصور، بدءاً من عصر الصيد إلى الثورة الزراعية منذ عصر قدماء المصريين وحتى القرن الثامن عشر، حيث استهدف التعليم إعداد مزارعين أكفاء لديهم قدرة على التحمل. ثم جاء عصر الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، فتحول الهدف من التعليم إلى أعداد صناع مهرة لديهم معرفة وقدرة ومهارة مناسبة للعمل الصناعي الكمي والآلي.

وفي عصر الثورة المعلوماتية في القرن العشرين تمركز الهدف من التعليم حول إعداد خريج على درجة عالية من التمكن المعرفي، الذي وظف فيه الجزء الأيسر من المخ، وهو المعنى باللغة والمهارات المرتبطة بها، حيث اعتبرت اللغة هي الأساس الذي يميز الإنسان على سائر المخلوقات الأخرى، حتى أن العلماء حينذاك قد أطلقوا على الجانب الأيسر من المخ النصف الأساسي والمهيمن.

وأما في القرن الحادي والعشرين وهو عصر وفرة الإنتاج وسيطرة التكنولوجيا والكوكبية، فإن المنظومة التعليمية أصبحت في حاجة شديدة إلى إيجاد أرضية مشتركة تربط بين متطلبات رجال الأعمال والصناعة والتربية والمجتمع في ضوء الفهم لمعنى مهارات القرن الحادي والعشرين بشكل يساهم في إعداد التلاميذ للحياة والتعليم والعمل في العصر الرقمي.

وكل هذا يجعل مهارات القرن الحادي والعشرين حاجة ملحة لتطوير جودة العملية التدريسية والتعليمية، وكمرودود لفكرة "الكل طفل الحق في مستوى متميز للتعليم" والذي نادي به القانون الفيدرالي بالولايات المتحدة الأمريكية كضرورة لمواجهة البيئة الاقتصادية.

وهنا يجب توضيح ماذا نعني بمهارات القرن الحادي والعشرين وعلاقتها بمفهوم الشراكة

الشراكة ومهارات القرن الحادي والعشرين.

تتطلب مهارات القرن الحادي والعشري تعزيز مبدأ الشراكة بين القوي الفاعلة في المجتمع لوضع إطار فكري للتعليم القومي بمختلف مراحلهِ وقد بادرت كل من الولايات المتحدة وكندا وإنجلترا بتبني هذا المبدأ الذي يعتمد على شقين الأول الشراكة بين قطاع الاقتصاد ورجال الأعمال وأصحاب المشاريع والصناعات الصغيرة والثاني أصحاب القرار السياسي والتربوي ومؤسسات التعليم والمراكز البحثية والمدارس والجامعات وأولياء الأمور والمؤسسات المجتمعية والتكنولوجية والإعلامية لغرس مهارات القرن الحادي والعشرين في التعليم، ولتحديد رؤية للتعليم في القرن الحادي والعشرين تؤكد علي نجاح كل طفل كمواطن وكعامل (كموظف).

الإطار العام لمهارات القرن الحادي والعشرين.

المواد محورية:

يجب أن يحصل جميع الأطفال في مراحل التعليم المختلفة بدون استثناء على فرصة لتعلم المواد المحورية التي تشمل: اللغة الأم، اللغة الأجنبية، التربية الفنية: وتشمل (الفنون التشكيلية، الموسيقى، المسرح، الأنشطة الحركية) - الرياضيات-المواطنة-العلوم-الاقتصاد-التاريخ، الجغرافيا. وأن يكون ذلك في أطر محددة مثل الوعي الكوني والاقتصاد والمخاطرة المحسوبة⁽¹⁾ والثقافة البصرية. كما يجب كذلك تدريس هذه المواد

(1) entrepreneurship وهي كلمة من أصول فرنسية تعرف بأنها كلمة تصف شخص ينظم أو يدير مخاطر إنشاء مؤسسة أو عمل أو فكرة ما، ينتج منتج جديد أو يكتشف أسلوب جديد للإنتاج أو يفتح أسواق جديدة أو يكتشف أسلوب جديد لتنظيم وإدارة العمل
www.QuickMBA.com 2007

المحورية من خلال التأكيد على المهارات العليا، والتكنولوجيا المعاصرة والاتصال. بالإضافة إلى ربط التعليم بمهارات الحياة والعمل.

أدوات القرن الحادي والعشرين:

في العالم الرقمي يحتاج التلميذ لتعلم كيف يتمكن من استخدام أدوات تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية ICT بمهارتها المتعددة لتحقيق. -التواصل الفعال، -الحصول على المعرفة -المتعة والإبهار، -الثقافة والمهارة التقنية.

مهارات التعلم:

- وتركز على مهارات التفكير العليا التي تشمل تنشيط فصي العقل الأيمن والأيسر حيث تشمل.
- مهارات المعلوماتية والتكنولوجية
- أ- مهارات المعرفة
- ب- مهارات الاتصال
- مهارات التفكير وحل المشكلات
- أ- مهارات التفكير الناقد والتفكير المنطومي
- ب- مهارات التعرف على المشكلات وتكوينها وحل المشكلات
- ج-مهارات الأبداع والاستحداث والاختراع وحب الاستطلاع العقلي (التلملي)
- المهارة الحياتية والمهنية
- المهارة الشخصية والتعاونية، -مهارات التوجه الذاتي، -مهارات الاعتمادية والتوافقية،
- أ-المسؤولية الاجتماعية

سياق القرن الحادي والعشرين:

يحتاج التلميذ أن يتعلم المحتوى العلمي من خلال أمثلة وتطبيقات وخبرات من الحياة الحقيقية داخل وخارج المدرسة، فالتلميذ يتعلم بصورة أفضل حينما يرتبط التعلم بعلاقات وتفاعلات ذات معنى وارتباطا بحياته مما يؤدي إلى فهم أعمق وثبات واستمرارية أفضل للمعلومات والمواد والمعارف. وينبغي أن يتم تعليم تلك المهارات في سياق القرن الحادي والعشرين.

المحتوى المرتبط بالحياة والعمل في القرن الحادي والعشرين:

- الوعي الكوني:

في ظل التطور التكنولوجي وثورة الاتصالات يحتاج الأفراد لفهم أعمق للتفكير، والتعرف على مختلف الثقافات والبلاد والمناطق، ويؤدي الوعي الكوني إلي فهم أفضل وتقبل للأخلاقيات والثقافات والمعتقدات والاختلافات الشخصية، فضلا عن أن له أهمية في المجتمعات وأماكن العمل، ومساعدة الأفراد على العمل خلال تعقيدات وجهات النظر المختلفة.

- اقتصاديات التمويل وثقافة العمل:

كل من الأفراد والمتخصصين مسئولين عن عمل اختبارات اقتصادية وتجارية معقدة تؤثر جذريا على مستقبلهم، ففهم المسائل التجارية يمكن أن يساعد الأفراد في مستقبلهم المهني، وعلى إدارة أعمالهم، وأن يصبحوا أكثر إنتاجية كل في مجالهم.

- الثقافة المدنية:

قليل من المواطنين يمارسون واجباتهم وحقوقهم المدنية، وينبغي التدريب على المشاركة في العملية السياسية مما يساعد الطلاب في فهم وتحليل والمشاركة في السياسة والمجتمع، ليصبحوا مواطنين قادرين على أن يتخذوا قرارات تعكس فهمهم للتطبيقات التاريخية ودور الرواد، والوعي السياسي.

ليس على المدرسة إنشاء مقررات جديدة لمحتوى مهارات القرن الحادي والعشرين، خاصة وأنه يمكن عمل تفعيلها من خلال مواد محورية تستخدم الخبرات التعليمية المقترنة. وقد بدأت بالفعل بعض المجتمعات في تحديد مجالات المحتوى التي تواجه خبرات المجتمع، ومن أهم المجالات فاعلية في تحقيق تلك الأهداف، الفنون البصرية والأدائية والموسيقية

وفي أطر التأكيد على دور التربية الفنية كمادة أساسية في التعلم، يجب أن يمارسها جميع الأطفال والبالغين في مراحل التعليم المختلفة بدون استثناء في القرن الحادي والعشرين سوف تركز هذه الدراسة على أربعة محاور من المهارات السابق تحديدها يجب أن يتم التركيز عليها في بناء محتوى واستراتيجيات تدريس التربية الفنية على النحو التالي:

المحور الأول: المتغيرات الكونية بأبعادها السياسية والثقافية، ودورها في تشكيل العوامل الضاغطة والداعمة لاقتصاديات التمويل وثقافة العمل، وعلاقتها بالهوية القومية من خلال الصناعات الإبداعية.
المحور الثاني: الفص الأيمن والأيسر للعقل ودورها في تحديد المداخل المتعددة للتربية الفنية لتنمية مهارات الأبداع والاستحداث، والاختراع وحب الاستطلاع العقلي (التأملي)، وعادات العقل.

المحور الثالث: الدور المعاصر للتربية الفنية في القرن الحادي والعشرين لتوظيف أدوات تكنولوجيا الاتصال لبناء تواصل فعال من خلال توظيف المتعة والإبهار.
المحور الرابع: الثقافة المدنية، ودور التربية والثقافة في تأصيل وظيفة التربية الفنية في بناء وعي بالواجبات والحقوق المدنية والمشاركة في العملية السياسية لبناء مجتمع ديمقراطي يتسم بالحرية والعدالة الاجتماعية.

المحور الأول: المتغيرات الكونية بأبعادها السياسية والثقافية، ودورها في تشكيل العوامل الضاغطة والداعمة لاقتصاديات التمويل وثقافة العمل، وعلاقتها بالهوية القومية من خلال الصناعات الإبداعية.

لا تختلف فئات المجتمع من رجال أعمال وصناع قرار وأولياء أمور ومربيين علي ضرورة التكاتف في مجابهة تحديات التعليم واحتياجات سوق العمل، من خلال تطوير التعليم بهدف تنمية مهارات القوى العاملة، وذلك بدءاً من تلاميذ المرحلة الابتدائية وحتى طلاب الجامعة ، فنحن جميعاً ندرك أننا لا نعطي اهتماماً كافياً، ولا نستثمر تعليم الفنون لتنمية تلك المهارات، فاهتملنا مركز أكثر حول المعارف والمهارات الأكاديمية، التي قد لا ترتبط بالاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، والتي لا تؤهل الفرد للنجاح سواء على المستوى القومي أو العالمي ، ويفاجأ العديد من الخريجين سواء على مستوى التعليم الجامعي أو ما قبل الجامعي بقصور المهارات العليا التي يحتاجون إليها للعمل في حياتهم المهنية والاجتماعية والشخصية.

لا يقف هدف التعليم عند حدود إعداد مواطن على دراية وتمكن في الجوانب المعرفية، ولكن يستهدف إعداد مواطن قادر على التنافس والنجاح في الحياة والعمل. وقد اقتضى ذلك فرض نسق موحد بين العالم بأكمله، كمردود لسوق العمل المفتوح والمنافسة العالمية، ومن ثم أصبح أمم المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية مسؤولة إعداد وتأهيل مواطن ذو مواصفات وقدرات، تمكنه من أن يكون قادراً على التنافس في سوق العمل المحلي والعالمي.

إن اللهاث نحو الحصول على شهادات ودرجات مرتفعة، بغض النظر عن نوعية المحتوى التعليمي، وملاءمته لإدارة شؤون الحياة والعمل، أدى إلى تأكيد فكرة أننا نعد أبناءنا للنجاح في المدرسة التي بدورها أصبحت تمارس تدريبات منفصلة عن مشكلات الحياة والعمل ومتطلبات المستقبل في علاقتهم مع العالم، حيث يتم التدريس بمعزل عن إطار الزمان والمكان الراهن والمستقبلي.

وإذا ما استطاعت برامج التربية الفنية أن تربط بين تنمية الأبداع وتفعيل المهارات الحياتية والمهنية، كالمهارات الشخصية والتعاونية من خلال ممارسة الأنشطة الجماعية، التي تشجع المهارات الاعتمادية والتوافقية، لأمكن للفنون أن تكون عامل فعال في تعزيز ثقافة العمل.

وعلى ذلك فضلاً عن تأكيد أهمية دور التربية الفنية كميدان ينمي الأبداع والتعبير الذاتي، إلا أنه في القرن الواحد والعشرين أصبحت الفنون نوع من أنواع العمل. وفي الواقع هذا ما يجب أن يميز الفن منذ نشأته في أشكاله المتعددة فمنذ الطفولة إلى الشيخوخة ينهمك الفنان سواء الشعبي أو الفطري أو الأكاديمي في الإنتاج، وسواء كان هذا الإنتاج وظيفي أو أكاديمي فهو مهنة عظيمة يمتنها العديد من الأفراد في الماضي والحاضر.

من خلال الاستعراض السابق يتضح أن التربية الفنية هي المجال الأساسي الذي يتعلم الطلاب أثناء ممارسته للفن معنى الإقتان، ومعنى متعة العمل الذي يفجر طاقات الأتسان، والذي يحقق مقاصده على الوجه الأكمل، هناك حاجة ملحة في مجتمعنا تدعو لتجديد رؤيتنا لمفهوم العمل الجيد لتحقيق الأجزاء الشخصي والأدراك الاجتماعي والتنمية الاقتصادية، الفن هو الدليل المادي للعمل الذي يتم أنجازه على الوجه الأكمل. نحن نتحدث عن أهمية تأكيد البراعة و الإنتاجية في العمل. وكلاهما يتم ترسيخه كلما أنهمك الأتسان في التجربة الفنية. إن الفن هو أفضل طريقة لتعليم قيمة العمل.

إن ربط مفهوم ممارسة الفنون الإبداعية بالعمل لم يعد مقتصرًا فقط على التعليم، بل أصبح مرتبطًا بالاقتصاد القومي، حيث تبنت الأمم المتحدة قضية تنمية الصناعات الإبداعية، والتي أصبحت من الموضوعات الهامة التي يجب الاهتمام بها بشكل كبير، وذلك لأنها تقوم بتأمين الأرضية اللازمة للصناعات الكبيرة والثقيلة، وفي الوقت ذاته تلعب دوراً مهماً في الاستفادة من إبداعات الشباب وتقوم بدور مهم في زيادة القدرة الاقتصادية الفردية مما يؤدي إلى زيادة القدرة الاقتصادية للدول، والتي يطلق عليها الاقتصاد الإبداعية الذي يرتبط بأبعاد سياسية وتنمية صناعية. وتنقسم الصناعات الإبداعية إلى صناعات ثقافية وخدمية ومعارف، وحيث أن الثقافة ليست مجرد مشروعات مرتبطة بالقطاعات التجارية، بل تتعداها لوضع سياسات للفنون والإعلام والصناعات الفنية، وكلها ترتبط بالاستهلاك في إطار الاقتصاد الإبداعية المعاصر، وتسهم في تعزيز التماسك الاجتماعي والشعور بالانتماء.

كما تهدف الصناعات الإبداعية إلى زيادة معدل الإبداع والابتكار لدى الأفراد، فالمبدعين الذين يملكون الأفكار سيكون لهم نفوذاً أكثر ممن يقومون بالأعمال العادية والروتينية، وأصبحت الملكية الفكرية في السنوات القليلة الماضية ذات تأثير كبير في الناتج الاقتصادي العالمي، وفي طريقة حياة الأفراد لأفكارهم. و يطلق مصطلح الصناعات الإبداعية على المشاريع الثقافية بدءاً من صناعة النشر والكتب، والإعلام المرئي والمسموع والمطبوع، ومروراً بالسينما والموسيقى والفيديو، إلى جانب الإبداعات الفنية والصناعات الثقافية ومناخف التراث الثقافي والمواقع التاريخية، والفنون الشعبية والأزياء التاريخية، والأحداث الثقافية الكبرى، والمكتبات، فضلاً عن صناعة البرمجيات وألعاب الفيديو والتصميم بثتى أنواعه، سواء كان الأزياء أو تصميم الألعاب أو البرامج، أو تصميم المباني أو الفنون التشكيلية وغيرها، حيث تحتاج جميع تلك الصناعات إلى الأفكار الإبداعية التي تتطلب عقول الموهوبين. إن من يملكون الأفكار الإبداعية هم من سيقودون المستقبل، وأضحت الصناعات الإبداعية عنصراً مهماً في تكوين الاقتصادات المتقدمة. إن المدن التي تتبنى تلك الصناعات يطلق عليها المدن الإبداعية.

ويوضح سلطان المعاني أن ثقافة الصناعات الإبداعية هي نوع من مواجهة غياب ثقافة الأنتاج، وهو ما تستدركه المؤسسات الإبداعية عبر أدواتها المختلفة، والتي من أهمها إشراك الشباب في الأختيار والتمكين والفعل، ودعم مكونات القدرة عندهم، جماعة وفرادى، في قيادة دفة التغيير.

وبذلك ارتبطت مهارة الإبداع بالعديد من المهارات التي تساهم في الإنتاج والعمل، كمهارة حل المشكلات والأستحداث والأختراع، حيث أن الأتسان المبدع يمتلك مهارة التعرف على المشكلات وتكوينها وحلها، وهو قادر على ممارسة التفكير الناقد والتفكير المنظومي المبني على حب الأستطلاع العقلي التأملي

المحور الثاني: الفص الأيمن والأيسر للعقل ودورهما في تحديد المداخل المتعددة للفنون لتنمية مهارات الأبداع والاستحداث والاختراع وحب الاستطلاع العقلي (التأملي) وعادات العقل.

تشير المعايير إلى أن ارتباط الذكاء بالتفوق الدراسي ارتباطاً قوياً حيث أنه يؤدي إلى انسجام الطالب مع معايير السلوك المقبولة اجتماعياً ورسماً، والقرب من الاتجاه والحل الصحيح ، أما ارتباطه بالإبداع فليس كذلك، وعليه فغالباً ما تفشل المدرسة في كشف أو دعم المبدعين، ولعل ذلك يرجع إلى اعتماد المدارس على معايير نمطية وتطبيقها على الشريحة العظمى من الطلاب، تركز هذه المعايير في الدرجة الأولى على القدرات المعرفية التقاربية، و الذاكرة، وليس على القدرات المتعلقة بالابتكار (كالتفكير المستقل والمستفسر) وهي التي تسمى بالعمليات العقلية المتشعبة أو المتباعدة، والتي تؤدي إلى نتائج مفاجئة غير مألوفة لذلك فإن كثيراً من المبتكرين في القرن العشرين لم يتوصلوا إلى مكتبتهم المرموقة سواء في المجتمع المدرسي أو المرحلة الجامعية.

ولعل ما دعم أهمية التركيز على رعاية ودعم المبدعين في القرن الحادي والعشرين، التطورات الهائلة التي تتطلب إعداد أولادنا لزمان لم تتحدد معالمه بعد، ليعيشوا في مجتمع لا نعرف علاقاته وهيكلكه، ولممارسة وظائف لم تصبح متاحة أو موصوفة بعد، وهي تحديات لا يمكن مواجهتها معتمدين على أدوات ومعارف الحاضر؟

من هذا المنطلق يصبح الهدف الأساسي هو الاهتمام بتنمية أبنائنا من الناحية العقلية والوجدانية والفنية في آن واحد، ولا نركز على تنشيط الجانب الأيسر من العقل فقط فيصبح لدينا عالم تصوري أو مفكر بدون مشاعر ولا إحساس وغير قادر على مسانيرة الحياة من حوله، ومن ثم فهناك ضرورة لربط العقل والوجدان معاً من أجل بناء مجتمع سليم يتمتع أفراده بنمو عقلي متميز ونمو وجداني مرتفع، يجعل الفرد يشعر بمن حوله، قادراً على التعاطف ، وعلى الوعي بمشاعره وأحاسيسه ولديه القدرة على التحكم في انفعالاته السلبية، وتأجيل إشباعاته العاجلة بالإضافة إلى قدرته على التعامل مع الآخرين

إن مشكلة أعداد أطفالنا للقرن الحادي والعشرين ومواجهة المواقف التي تستعصي عن الحل لا يمكن تحقيقها بدون ممارسة إبداعية حقيقية وحررة، مما يتيح فرصاً للتخيل والانفتاح والتوقع والتصور والتوظيف الذكي للمعارف والمهارات في ضوء المواقف المتغيرة، ولكن كيف لنا أن نحدد تلك المهارات والمعطيات اللازمة لأبنائنا دون أن نتعرف أو ندرك ما هي تلك المهارات التي يحتاجونها في القرن الحادي والعشرين؟

لذلك فمع بداية القرن الحادي والعشرين توصلت الدراسات إلى أن أبنائنا ليسوا متاهبين لمواجهة المستقبل، ولا يملكون المهارات اللازمة للنجاح في الدراسة والعمل والحياة، حيث تراجع دور وجدوى الحفظ والاسترجاع من الاهتمام إذ أصبحت سلاسل المعارف متاحة وميسرة تحت أطرف الأصابع، كما أصبحت المعرفة متجدده بصورة لحظية. مما جعل من الضروري تحول التعليم من الحفظ إلى الأبداع.

لقد أدى الاهتمام الشديد والدراسات المتعمقة لدور العقل في التنمية الذاتية لأبنائنا، وتأهيلهم للنجاح في العمل والحياة إلى تصاعد دور التربية الفنية في منظومة التعليم في القرن الحادي والعشرين، كما ساهمت مؤسسات عالمية بحثية مرموقة في تكوين هذا المفهوم ومن بينها منظمة اليونسكو الدولية، مؤسسة الشراكة الدولية لمهارات القرن الحادي والعشرين، مؤسسة "دانا" لتنمية العقل Dana Foundation والأقسام البحثية والتربوية في مؤسسات كبرى مثل مركز "جيتي" بلوس أنجلوس Jetty Center ومركز "كيندي" بنيويورك Kennedy Center.

وقد توصلت تلك البحوث إلى تحديد وظائف النصف الأيمن والأيسر من المخ، وأن المهارات السابقة على القرن الحادي والعشرين كانت تعتمد على وظائف النصف الأيسر فقط والمنوط بالعمليات الرياضية والكتابة والعمليات البرمجية المنطقية. بينما تولى منظومة التعليم في القرن الحادي والعشرين اهتماماً مكثفاً لتوظيف النصف الأيمن من المخ، والمعنى بالإبداع والاستحداث والاختراع والتواصل الاجتماعي وممارسة المخاطر المحسوبة، وإضفاء البهجة على الحياة والعمل، لقد تبين من تلك البحوث أن بالمخ مناطق معينة لا تنشط بدون ممارسه الفنون.

فالتذوق الفني مثلاً ينشط الحس وملكات التقويم والتحليل الرياضي. والطفل الذي يمارس الفن يمتلك فرصه تصل إلى ثلاثة أضعاف قرينه المحروم من هذه الممارسة في مجال القدرة على العمل في مجموعه، وفي أن يجذب أقرانه لانتخابه في المواقف القيادية، إذا توفر له ممارسه العمل الفني ثقة بالذات وإحساس بالإنجاز. أن مهارات الفنون الإبداعية مهارات محوريه لتكوين الشخصية السوية الناجحة لما تضيفه عليها من رهاقة الأحاسيس وقوة الشخصية، والانتباه، وتوضيح الفرق بين المخاطرة المحسوبة وبين التهور الأخرق، من حيث كونها تتعلم بذكاء وتخطيط مع المواقف الغامضة، بما يمكن من مواجهتها وتوجيهها للهدف المطلوب.

هنالك افتراض مفاده أن معظم الناس قادرين على الإبداع، لكن القدرة على التفكير والإبداع تختلف بشكل واسع من فرد إلى آخر، لذا ظهرت العديد من المحاولات والتجارب العالمية لتعليم التفكير والإبداع وانتشرت على نطاق واسع وأسهمت بشكل أو بآخر في تنمية التفكير والإبداع، في مجال الفنون، فالفن يضيف على الأحاسيس شكلاً مادي لذلك فهو يمهّد فرص الوعي بهذه الأحاسيس، وبالتالي فهمها وتحليلها وتطويرها من خلال التفكير المرئي، من خلال ممارسة الفنون نستطيع تفسير متطلبات الأعمال المختلفة، نستعد لها وتندرب عليها من خلال التوازن النفسي والمرونة والمهارة التي نكتسبها من خلال ممارسة الفنون، كما توصلت البحوث العلمية إلى "إن الممارسات الفنية تعد أداة للتفكير ومن ثم اعتبرت المحور الأساسي للعديد من الدراسات والمشروعات، حيث تستخدم الفنون بصورة مستمرة ومنتظمة في تنمية العادات والمهارات العقلية العالمة في التعليم والتثقيف

عادات العقل للفنان Artist Habits of Mind

أن تعلم التربية الفنية يساعد على تنمية عادات معرفية قوية كمهارات التفكير الإبداعي والنقدي كما سبق أن ذكرنا، ولا يرتبط تعلم الفنون بالموهبة، أو الأعداد لممارسة المهنة، إذ أكدت البحوث أن دور ممارسة الفنون في تنمية العقل لا علاقة له بكون التلميذ موهوباً، أو سواء يتم أعداده ليكون فناناً أو ممارساً لأي مهنة مختلفة، فتعلم عادات العقل للفنان تؤدي إلى تعلم للحياة من خلال ممارسة الفنون. لذلك فقد تبنت الدوائر التعليمية في ولاية "أريزونا" الأمريكية عادات العقل للفنان كمهارات أساسية لجميع مراحل التعليم العلم وحددوا هذه المهارات في ثمان عادات أساسية يجب أن يكتسبها التلاميذ وهي:

القدرة الحرفية Develop Craft:

وتعني بتعلم استخدام والعناية بالأدوات، وتعلم التقاليد والمهارات الفنية.

الانهماك والإصرار Engage & Persist :

وتعني بتعلم تبني المشاكل ذات الصلة بعالم الفن و / أو ذات الأهمية الذاتية، والتركيز على تطوير الحالة العقلية التي تؤدي إلى المثابرة في العمل والأنشطة الفنية.

التصور Envision :

وتعني بتعلم التصور البصري لما لا يمكن ملاحظته مباشرة وتخيل الخطوات المقبلة المحتملة في إنتاج العمل الفني.

التعبير Express :

وتعني بتعلم إنتاج الأعمال الفنية التي تعبر عن الفكرة، والأحاسيس، أو المعاني الشخصية

الملاحظة Observe :

وتعني بتعلم التعامل مع السياقات البصرية على نحو أكثر مما يحتاجه مجرد النظر، وبالتالي نرى الأشياء التي قد لا يمكن رؤيتها من خلال الرؤية العابرة.

التأمل Reflect :

وتشمل الأسئلة أو الشرح، وتعني بتعلم التفكير والتحدث مع الآخرين حول جانب من جوانب أو تقنية عمل فني واحد.

التقييم Evaluation ويعني بتعلم الحكم علي عملك و عمل الآخرين موظفا المعايير الفنية

البحث والاستكشاف: Search & Explore

ويعني تعلم أن تتجاوز قدراتك، لاستكشافها بأسلوب مرح دون خطة مسبقة، واغتنام فرص التعلم من الأخطاء والحوادث الغير متوقعة.

فهم عالم الفن: Understand Art World

ويعني التعلم عن تاريخ الفن والممارسة المعاصرة. في إطار العوامل المجتمعية بمفهومها الواسع.

المحور الثالث: الدور المعاصر للتربية الفنية في القرن الحادي والعشرين في لتوظيف أدوات تكنولوجيا الاتصال لبناء تواصل فعال من خلال توظيف المتعة والإبهار.

في إطار تأكيد العلاقة المتبادلة ليس فقط بين الأفراد ولكن بين الأفراد والأمم، أصبح أمام المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية مسؤولية إعداد وتأهيل مواطن ذو مواصفات وقدرات تمكنه من الاتصال الفعال مع المجتمع والعالم الذي يعيش فيه،

وقد أدت القدرة على التواصل الإيجابي أفعال كمهارة أساسية أن أصبح تدريس اللغة يؤكد على القدرة على التعبير عن الذات بلغة تصل إلى الآخرين دون لبث من ناحية، وفهم آراء الآخرين بنفس درجة الوضوح من ناحية أخرى، ومن ثم فقد تحول دور الإملاء والنحو والقواعد من غاية في ذاتها لتصبح بمثابة أداة لبناء مفردات مؤثرة في العملية الاتصالية.

ورغم أهمية اللغة الأم كمادة محورية لدورها في تنمية التواصل الفعال على المستوى القومي إلا أن الثقافة المحلية لم تعد كافية لأعداد أجيال المستقبل، حيث أصبحت اللغة الدولية ضرورية إلى جانب اللغة الأم للتمكن من الانفتاح على ثقافات العصر.

لم تعد أيضا اللغة اللفظية كافية في عمليات التواصل والاتصال، على الأخص مع انتشار الأدوات المعاصرة التي تستخدم التواصل السمعي والبصري بأسلوب فعال ومتطور بل ومبهر، مثل الكمبيوتر والتلفزيون والهاتف الجوال، ومن ثم فإن لغات اتصالية أخرى أصبحت ضرورية في توظيف المهارات اللفظية والبصرية والحركية والسمعية والإيقاعية أصبحت ذات تأثيرا أقوى في الاتصال المعاصر، على الأخص من خلال توظيف الإمكانيات الإبداعية لتلك اللغات الاتصالية.

وبناء على ذلك فإن دراسة التربية الفنية تصبح بمثابة أدوات اتصالية قوية للتنشيط والإقناع والإبهار والاستمتاع والقبول، وهي كلها عمليات اتصالية حيوية على الأخص إذا ما تم تعليمها في إطار المهارات المعلوماتية والتكنولوجية بما تيسره من أدوات إنتاج الأفكار المبهرة. وبذلك أصبحت الفنون من أهم أدوات التواصل على المستويات الشخصية والمجتمعية والقومية والدولية.

إن الفن كاده اتصالية هو اللغة المرئية للصور، اللغة التي يجب على كل منا تعلم قراءتها في دروس الفن، فنحن ننتج العمل الفني وندرسه، مما يؤثر في احتياجاتنا، سلوكنا اليومي، أمنياتنا، في آرائنا ومثلنا العليا. ولهذا السبب فإن الفرد الذي لا يستطيع فهم وقراءة الصور لم يكتمل تعليمه الفني، إن إتقان القراءة والكتابة يتضمن القدرة على الفهم والاستجابة والحديث عن الصور المرئية، ولتحقيق مهمة التربية الفنية الشاملة فإن علينا إن نوظف اللغة المكتوبة والمنطوقة لقراءة الصور المرئية. لذلك يجب أن يسعي مدرسي الفن بصفه مستمرة لتنمية المهارات النقدية، وهذه طريقتنا لتحقيق المزوجة بين اللغة البصرية والمهارات اللغوية عن طريق تعليم التلاميذ الوصف، التحليل، وتفسير الصور، وتعزيز تعلم قدرات التعبير اللفظي.

كما ينمي الفن الاتصال من خلال تقديم العديد من القيم فلا أحد يستطيع أن يستشعر الفن من دون معرفة قيم عن الوطن والأسرة، العمل واللعب، الفرد والمجتمع، البيئة والطبيعة، الحرب والسلام، الجمال والقبح، العنف والحب. إن التراث الفني العظيم يتعامل مع هذه الاعتبارات الإنسانية الراسخة في الماضي والحاضر، فتعليم الفن لا يعتمد على التلقين، ولكن التحفيز على التعبير عن القيم والاهتمامات الإنسانية على نطاق واسع، وينمي الشعور

بان القيم تشكل كل الأنشطة الإنسانية، وان الصور المرئية من الممكن أن تؤثر في اختيارنا نحو الأفضل. ويجب على التربية الفنية أن تتيح الفرصة كي يرى التلاميذ كيف يمكن أن يعبر الفن عن الطموحات العليا للروح الإنسانية. بناء على هذا الأساس يمكنهم اختيار القيم الأكثر مناسبة والأفضل لهم. كما يساهم الوعي بهذه القيم في الربط بين الماضية والحاضرة القومية والكونية مما يؤدي إلى فهم أفضل وتقبل للأخلاقيات والثقافات والمعتقدات والاختلافات الشخصية، فضلا عن إمكانية توظيف هذه المهارات في المجتمع وأماكن العمل، ومساعدة الأفراد على العمل خلال تعقيدات وجهات النظر المختلفة.

كما أنه مع ظهور التكنولوجيا الرقمية وعالم الشبكات، والإعلانات، والرموز البصرية الطاغية أصبح الفن يعلم أساليب الاتصال الفعالة، ويفتح الباب أمام المتعلم للدخول إلى عالم الاتصال غير اللفظي، الذي يستدعي أن يسلك المتعلم بثقافة بصرية، وإدراك بصري وجمالي ورؤية تحليلية تأملية ونقدية وتدقيقه، مع تنمية الوعي البيئي من الناحية الجمالية وتنشيط الوعي والحساسية والإثراء الجمالي للخبرة الإنسانية؛ مما يؤهله لفهم العالم والتفاعل الإيجابي معه.

حيث يستطيع المتعلم كمؤثر ومرسل-بناء الرموز والرسائل البصرية، من خلال إنتاجه الفني، ويستطيع - كمستقبل ومتذوق فهم الرسائل البصرية وإدراك مفهوم الرسالة من خلال تحليل وترجمة الرموز البصرية. التي تساهم في تنمية طرق للتفكير والمعرفة، ويبني من خلالها وجهات نظر ثرية ومركبة عن العلم والخبرة البشرية

المحور الرابع: الثقافة المدنية وتحديد دور التربية والثقافة في تأصيل وظيفة الفنون في بناء وعي بالواجبات والحقوق المدنية والمشاركة في العملية السياسية لبناء مجتمع ديمقراطي يتسم بالحرية والعدالة الاجتماعية.

في ظل المتغيرات الاقتصادية والسياسية يحتاج النظام التعليمي في مصر إلى ربط المحتوى العلمي بأمثلة وتطبيقات وخبرات من الحياة الحقيقية داخل وخارج المدرسة، حيث تفتح المدرسة ليس فقط على البيئة المادية المباشرة، ولكن تتعدى ذلك إلى البيئة القومية والعالمية المادية والافتراضية، كما يجب أن يتم هذا الانفتاح من خلال ربط التعلم بعلاقات وتفاعلات ذات معنى ورباطها بحياة التلميذ مما يؤدي إلى فهم أعمق وثبات واستمرارية أفضل للمعلومات والمواد والمعارف. وينبغي أن يتم تعليم تلك المهارات في سياق معاصر يربط بين الخبرات الفنية والثقافية والاقتصادية والسياسية للقرن الحادي والعشرين.

إن تعليمنا مازال يركز على المحتوى التعليمي المجرد وما زال يعامل التلاميذ كمتلقين سلبيين للمعارف داخل حجرات التعليم المغلقة، وما زال المعلم يعتقد أنه المصدر الوحيد للمعرفة وأن الكتاب هو المصدر الأساسي للاختبار، دون أدراك أن الشباب قد دشّن التعامل الجاد مع مفردات القرن الحادي والعشرين في مواجهة التقاليد السلطوية البالية للقرن التاسع عشر، وفي ضوء النظريات المعاصرة للبيداغوجيا النقدية ودورها في تفعيل هذا الحراك الحيوي للشباب في المجتمع المصري

البيداغوجيا النقدية أو بيداغوجيا المظلومين أو المقهورين.

إن هذه الاستراتيجية " للمظلومين " أو " المقهورين " هي ثورة على التعليم التقليدي الذي يعمل عقول التلاميذ كأواني فارغة تملأ من قبل المعلم " حيث التلاميذ ودبعة، والمعلم هو المودع ". وتلخصت عملية التعليم في " الاستقبال والحفظ والتكرار ". ويفسر فريزي ذلك النوع من التعليم الذي سماه التعليم المصرفي في عديد من المواقف والممارسات القمعية على النحو التالي:

- المعلم يعلم والتلاميذ يستقبلون.
- المعلم يعرف كل شيء والتلاميذ لا يعرفون شيئا.
- المعلم يفكر نيابة عن التلاميذ.
- المعلم يتحدث والتلاميذ يستمعون بخنوع.
- المعلم يربي والتلاميذ يتم تربيتهم.
- المعلم يختار ويفرض خياره والامثال للتلاميذ.
- المعلم يقوم بالأفعال والتلاميذ يتوهمون أنهم يعملون من خلال أفعال المعلمين.
- المعلم يختار محتوى البرنامج، ويفرض على التلاميذ أن يتكيفوا مع البرنامج.

- المعلم يخلط بين سلطة المعرفة وسلطته المهنية دون تقدير لحرية التلاميذ.
- المعلم هو موضوع عملية التعلم في حين أن التلاميذ يصبحون مجرد أشياء.

وبناء على ما سبق اتجه العديد من الباحثين التربويين في القرن الحادي والعشرين لوصف التعليم كمؤسسة ذات اتجاهين أحدهم يتمحور حول تحقيق الأهداف والآخر حول تحقيق النتائج وذلك فيما يلي:

الاتجاه الأول " التقدمي " اتجه شامل ديمقراطي وموضوعي يعتمد على مصادر متعددة للمعرفة وحساسية اجتماعية معنية بالحرآك الاجتماعي والاقتصادي للطلاب ذوي الخلفيات المتنوعة وعلى الأخص المهمشين منهم، وفي الطرف الآخر يركز الاتجاه الثاني " الرجعي " على المعايير الموحدة، وجدول الأعمال المبني على النظم الاجتماعية الحصرية التي تخدم مصلحة القوة المهيمنة، ومعظم هؤلاء الطلاب ينتمون بالخصائص الاجتماعية والثقافية التي ترتبط وتتماشى عن كآب مع هذه السلطة.

وهكذا نجد أن الباحثين في كليات التربية والمعلمين في المدارس الابتدائية والثأوية في القرن الواحد والعشرين يدخلون منطقة بحثية معقدة مليئة بالتناقضات، ولكن الباحثين التربويين في مساعيهم المهنية اليومية في مصر يميلون إلى البحث عن أدلة لأهمية التأكيد على الاتجاه الأول في معظم المؤسسات التعليمية. في مثل هذا السياق قد يرجع عدم انتشار الاتجاه التقدمي إلى أنه ينطوي على أبعاد أكثر تعقيدا بكثير من المعارف والأفكار المفاهيمية المستخدمة في بعض الأحيان في تأهيل المعلمين في البرامج البحثية والتربوية على حد سواء.

لذلك فالمبدأ الأساسي للبيداغوجيا النقدية هو الرفض لوجود التقسيم الطبقي غير المتكافئ في مجتمعنا والمبني على أساس العرق أو الطبقة أو الجنس أو الوالدين أو المستوى الاقتصادي الذي يميز بين المستوي الرفيع والمهين للتعليم. ويوضح ملكلارين McLaren أن التربية النقدية تعني أن يشفي ويصلح ويغير العالم "، مما يؤكد على أن الأمل ما زال معقودا على التعليم لبناء اتجاهات تاريخية وثقافية وسياسية وأخلاقية للمظلومين.

هذه الاستراتيجية تؤدي إلى إدراك الأبعاد الاجتماعية والتناقضات السياسية والاقتصادية وتطوير الوعي النقدي بحيث يمكن للأفراد مواجهة الأفكار والآليات والعناصر القمعية، وبالتالي يصبح التحول الاجتماعي في التعليم بمثابة نتائج التطبيق العملي على المستوى الجماعي.

وتتركز الأسئلة الشائعة للمربي الذي يتبع البيداغوجيا النقدية على ما يلي:

ما هي المعرفة القيمة؟ ما هي المعرفة الأكثر أهمية؟ ما هي المعرفة التي يجب أن تدرس، وبنفس القدر من الأهمية؟ ما هي المعرفة التي لا يجب أن تدرس؟ كيف يمكن للبيئة المدرسية المساهمة في الرضي النفسي للطبقات الاجتماعية في مجتمعنا؟ ما هي العلاقة بين المعرفة والسلطة؟ كيف ينعكس ذلك على أطفالنا؟ ما هو الغرض من التعليم؟ هل هو للضمان الديمقراطية أم للحفاظ على الوضع القائم؟ كيف يمكن للمعلمين تمكين الطلاب كي يصبحوا مفكرين ناقدين مما يعزز الحرية والديمقراطية الحقيقية ويدربهم عليها تدريب سليم؟

البيداغوجيا النقدية وفنون ما بعد الحداثة.

لقد هيمن فكر الحداثة على تعليم الفنون البصرية حتى الستينيات عندما فرضت التغييرات على الثوابت المقبولة في الفنون فكانت وجهات النظر الحديثة حتى وقت قريب هي تعليم ممارسة الفنون، ولكن مع ظهور نظريات ما بعد الحداثة أصبحت مناقشة التوجهات أكثر قوة، واتسمت بوجهات النظر والقيم المتناقضة مثل التركيز على الأشياء مقابل السياق، والاهتمام بالجماليات التقليدية والتاريخية مقابل المداخل الفنية الجديدة والمتعددة، فضلا عن المعنى السياقي العالمي مقابل المحتوي. هاتين الفلسفتين المتناقضتين للمعرفة والبحث عن المعنى كان لهما تأثير قوي على المشهد العالمي للتربية الفنية. في ظل هذا المفهوم نجد أن المشكلة الرئيسية في ميدان تعليم التربية الفنية في مصر تتركز في وقوفها عند فلسفة الحداثة أو ما قبلها وعدم انفتاحها على فلسفة ما بعد الحداثة التي غيرت مفهوم التربية الفنية في القرن الحادي والعشرين تغييراً جذرياً.

لذلك فمن المهم هنا أن نقدم لمعلمي التربية الفنية قدر كافي من المعرفة عن ثقافة وفنون ما بعد الحداثة لأن هذه الثقافة تؤثر في كيف يتخذ المعلمين قرارات حول ماذا وكيف يدرس الفن ، ويعتبر "هتشن" Hutcheon (1989)، "أن ما بعد الحداثة ظاهرة مبنية على المتناقضات النابعة من ارتباطها بالأبعاد السياسية التي لا يمكن تجنبها في عصرنا الحالي ، وفي هذا السياق تعتبر إجراءات وسلوك المعلمين نحو تعليم التربية الفنية ممارسة ذات بعداً سياسياً واضحاً فقراراتهم حول ما إذا كان اتباع البرامج المبنية على المحتوي أو البرامج

المبنية علي الأبعاد الاجتماعية الثقافية أو المداخل الأيديولوجية الأخرى هي خيارات أيديولوجية سياسية. إن الوعي بالخلافات يسمح بالخيارات، في حين أن عدم الجدل والقبول بدون إبداء أي رد فعل يحول دون أي خيارات. فالمدرسين إما أن يكونوا على وعي بالخيار السياسي الذي يتخذه أو يتخذوا قراراتهم بدون خلفية ثقافية تجعلهم قادرين على فحص هذه القرارات.

كيف يجب أن يدرس الفن بدءا من المرحلة الابتدائية إلى الجامعة؟ كان هذا التساؤل دائما مجال للجدل بما يصحبه من التوترات الناشئة عن الآراء المتباينة لماهية الفن وقيمه وأفضل طريقة للتعرف عليه. لقد أدى تغير الحركات والأشكال والقيم الفنية لما بعد الحداثة إلي تغير وجهات النظر للتربية الفنية بدءا من مدي ارتباطها بالأبعاد الاجتماعية والثقافية والسياسية إلى إعادة النظر في الافتراضات والممارسات الأساسية للفن إضافة إلى التوترات والنقاش المستمر حول دور التربية الفنية في الحياة المعاصرة.

إن الأوضاع التعليمية المختلفة لمعلمي الفن اليوم نابعة من تغير الظروف داخل وخارج المدارس تلك الظروف التي جلبت ضغوط ومؤثرات جديدة على المعلمين والطلاب على حد سواء. كمشاكل الأسر والمخدرات والعنف والتوترات العرقية والعقائدية والبطالة والفقر وموقف الدين من الفن، والتي تمثل بعض المتغيرات الاجتماعية التي تحدد الظروف التي يعيش وينمو فيها كثير من الأطفال اليوم (فايس Weis ١٩٩٠؛ ويلييس Willis ١٩٩٠). فالأطفال والشباب يتعايشون ليس فقط مع التغيرات الفسيولوجية ومشكلات النمو والنضج التي أعتدنا في بحثنا التركيز عليها، ولكن أيضا يتعايشون مع التأثيرات الاجتماعية النابعة من بيئاتهم ومجتمعهم المتنوعة.

إن المعلمون يرون نتيجة هذه التأثيرات في السلوك الذي لا يتوافق غالبا مع أهداف وبرامج التربية الفنية، فالمعلمين والطلاب غالبا ما يعيشون في عالمين مختلفين بالإضافة إلى الأهداف والسلوك المتعارض (بارك Brake ١٩٨٠، دنكم Duncum ١٩٩٠)، حتى في قاعات دراسة التربية الفنية التي طالما اعتبرت معقل الحرية والمتعة للطلاب وراحة من الدراسات الأكاديمية. لقد أصبح الطلاب يظهرون علامات عدم الاهتمام والتغريب على نحو متزايد في حصص الفن، ومعلمي التربية الفنية في حاجة إلى فهم أعمق ليس فقط لمدي تغير محتوى التربية الفنية، ولكن أيضا للظروف أو السياق والمحتوى المحيط بها، والتفاعلات بين محتوى التربية الفنية وهذا السياق.

وتوجه التربية الفنية في كثير من الأحيان حالات من عدم اليقين، حيث تصبح تلك التوترات جزءا من تدريس الفن. وحتى نعزز التربية الفنية اليوم، على المعلمين ربطها بالإصلاحات التي تهدف إلى تحسين التدريس وعلى الأخص في أزمنة الحراك السياسي وتغير النسق الاجتماعي كما هي الحالة في مصر الآن، حيث تتواجد في المجتمع العديد من الظواهر والقضايا الاجتماعية والسياسية (الكرامة، العيش، الحرية، العدالة الاجتماعية)، (السلام، العنف، الاستسلام) وهذا يعني أن نواجه باستمرار بأسئلة ترتبط بتلك الحقائق الاجتماعية والتعليمية:

- ١- كيف يمكن أن نتنوق ونتج الفن وفي نفس الوقت نحترم القيم الفردية للتلاميذ ووجهات النظر النقدية، وبمعنى آخر نشر الديمقراطية وحرية التلميذ في التعبير عن رأيه؟
- ٢- كيف يمكن أن ندرس الفن في إطار من العدالة والمساواة في ظل تعدد وتنوع الطبقات العرقية والاجتماعية والدينية داخل الفصل الدراسي؟
- ٣- كيف يمكن أن نتعامل مع معضلة تدريس القيم الفنية المحددة، وفي نفس الوقت نقدم الأفكار التي قدمتها التفكيرية ونظريات التقييم النقدي وعلاقتها بالفروض والمعتقدات المعاصرة، وبمعنى آخر نشر فكر الأبداع والثورة على الثوابت حينما لا تتوافق مع متطلبات العصر؟
- ٤- لماذا ينبغي أن تكون مناهج التربية الفنية هي المعنية باحتواء برامجها الدراسية على قضايا التصميم البيئي والحرف والفن التراثي وغيرها، مما قد لا يتناسب مع المفاهيم الحالية للفنون، وبمعنى آخر أن تتحمل التربية الفنية دورها الاجتماعي والسياسي في المجتمع؟

٥- كيف يمكن تقدير والاعتراف بفنون "الأخرين" دون تُلخيص هذا التقدير في إطار مراحل التدوق التقليدية من وصف وتفسير وتقدير للفن، وبمعنى آخر نشر الفكر التحرري للتفاعل والتواصل مع الآخر دون التقيد بالفكر التقليدي الأصولي الجامد؟

٦- والأهم من ذلك كله ما دور التربية الفنية في التعامل مع الثورة المصرية العظيمة وأمالها وأهدافها التي غيرت من فكر الشباب وحولتهم من تابعين سلبيين إلى فاعلين ناشطين؟

٧- أين التلميذ من؟

- الحرية في برامج تعليم الفنون؟
- رأي وفكر الجيل الذي سوف يوكل إليه بناء المستقبل؟
- الديمقراطية وحرية الرأي والإبداع؟
- التفاعل مع المجتمع والتأثير المتبادل بين الشباب وبين أفراد المجتمع؟
- في النهاية ما هو دورنا في أعداد هذا الجيل للحياة والعمل؟

كل تلك التساؤلات تمثل مجالات للمشاكل التي لا توجد لها حلول فورية، ولكن يجب أن توضع في الاعتبار عند إعداد المعلمين لفهم التغييرات التي تواجه التربية الفنية في القرن الحادي والعشرين. لذلك يجب أن نؤكد دائماً على الارتباط الوثيق بين المحتوى و السياق ، فالمعلومات المنفصلة عن محتواها وسياقها مثل عناصر ومبادئ التصميم هي معرفة أكاديمية وليست وظيفية ، وعلاوة على ذلك فإن توظيف التصميم يستمد معناه من السياق التاريخي أو التفسير الذاتي ، فلا يمكن اختزال مفهوم المحتوى إلي مجموعة من المعلومات الجديدة التي يمكن إضافتها إلى المحتوى القديم ، بل هو تناول المفاهيم الحالية كأساس فكري يتم تطويره من خلال التجربة والممارسة ، بالإضافة إلى التحليل والتأمل حيث ترتبط المعلومات بالأفكار المعاصرة من خلال بناء العلاقات. بمعنى آخر يجب أن يكون هناك توتر ديناميكي بين المفاهيم القديمة والجديدة من خلال عمليات الإدراك والتحليل والتفكير رغم تركيزنا على محتوى معين. فعلى سبيل المثال إذا كانت نظرية اللون تدرس باعتبارها علم أكاديمي عالمي، فسوف يتحول محتواها إلى معرفة تقليدية جامدة (عفا عليها الزمن) بالمقارنة بالعلاقات اللونية الجديدة التي يستخدمها الفنانين المعاصرين أمثال ما ينتجه فنان مثل "روثكو" Rothko ، وفي الوقت نفسه نحن لا نتخلى عن محتوى موجود بما يقدمه من أساس للانتقال إلى النظم الجديد.

٧-ويضيف "إزير" إن تعزيز وعي التلاميذ بالأشكال البصرية المرتبطة بالبيئة والمجتمع تساعد على تشكيل الأفكار المتكاملة وبناء المثل العليا. فمن المهم مثلاً أن تسمح للتلاميذ بممارسة حرية اختيار الموضوع، والسماح بإجراء البحوث المتعمقة في الأبعاد البصرية للثقافة الاجتماعية والسياسية المرتبطة بالموضوع، مما يجعل الأفكار والموضوعات التي تمارس في حجرة التربية الفنية مثلاً للاختيار الواعي للتلاميذ وبالتالي يكون التعلم والمعرفة نتاج طبيعي لفكرهم. وممارسة المناقشة ونقد الأعمال تشكل تحدياً عملياً لأفكار التلاميذ في هذا المجال ويناقش "كيرلي فريدمان Kerry Freedman" (٢٠٠٠) مصطلح "الحرية الفنية" كأحد الجوانب المميزة للديمقراطية ، والتي تنعكس في القرارات الجمالية التي يختارها التلاميذ ، فمن خلال مناقشة هذه القرارات يتم تأسيس الثقافة الديمقراطية ، وفهم متى ولماذا اتخذت هذه القرارات الناتجة عن الحوار داخل الفصول الدراسية والتي تؤدي إلي الحلول الإبداعية للمشكلات ، وهو الأسلوب المشتق من استخدام مدرسة البوهولوس للتصميم كوسيلة لحل المشكلات ذات الأهمية الاجتماعية ، والذي يعتبر الشكل والوظيفة على نفس الدرجة من الأهمية.

٨- ويؤكد "إزير" على أن تعليم الطلاب مهارات حل المشاكل من خلال الفنون البصرية يحتم النظر إلى الاحتياجات الاقتصادية والسياسية والبنائية بالإضافة إلى السمات الجمالية عند اتخاذ القرارات، ويتم تعزيز المبادرة والإبداع في مجال الفنون من خلال تحفيز الخيال من أجل تنمية الاعتزاز بمهارات التخطيط والحرفية، كما يعزز التعاون والديمقراطية. كما يلخص "جود" Gude ٢٠٠٤ أهمية تطبيق فلسفة ما بعد الحداثة في تدريس الفنون ودورها في تمكين الطلاب من مهارات التفكير النقدي وتوظيفها في تفسير وفهم الثقافة البصرية التي تحيط بنا ، وبالتالي تمكين الطلاب من فهم الهوية الثقافية الخاصة بهم واكتساب المهارات اللازمة لتشكيل المشهد الثقافي المعاصر الذي يتضح من خلال الأبداع والحوار والتفكير في الأبعاد المتعددة للفن والثقافة البصرية ، فمن خلال تعليم الطلاب التقنيات المتصلة مباشرة بمحيطهم الثقافي والسياسي والاقتصادي القومي والعلمي سوف يكتشف الطلاب كيف يكون لتعبيرهم الفني صوت ورأي خاص نابع من تاريخهم وثقافتهم الشخصية . ويؤكد هنا "بلنجي موريس" Ballengee-Morris (٢٠٠١) على أن تحطيم العناصر البصرية

الثابتة التي فرضت على الطلاب من خلال الثقافة السلطوية والإعلام ينتج إعادة سياق الأفكار ويؤدي إلى فهم أفضل للنظم والمعتقدات والهوية الثقافية للتلاميذ.
أردت من هذا الحوار أن أتحدى المفهوم الشائع بأن الفن رفاهية أو موهبة نتمناها أو مجرد تذوق واستمتاع، لأن الفن حق من حقوقنا الإنسانية، بل هو موضوع واسع لا يرتبط فقط بإنتاج أعمال فنية ذات قيمة إبداعية أو مهارية. أنه نشاط يرتبط بعمق بحياتنا الشخصية (الجسدية والروحية)، يترجم بتلقائية لحظية إحساس الشباب تجاه المواقف والأزمات بلغة تواصلية بليغة ومختزلة.

جهود الأمم المتحدة إلى استكشاف وتدعيم الدور المعاصر لتعليم الفنون:

بناء على المحاور الخمسة السابق ذكرها من دور محوري للفنون في أطار الثورة المفاهيمية ودور الأبداع في الإشباع الذاتي للفرد وتمكينه من مهارات العمل والحياة، ومنذ عام ٢٠٠٤ تبنت الأمم المتحدة من خلال منظمة اليونسكو مؤتمرات دولية لدفع الدول إلى تخصيص أهمية محورية لتدريس الفنون في برامجها التعليمية من مرحلة رياض الأطفال إلى نهاية المرحلة الجامعية وقد أسفرت هذه الجهود عن أقالمة مؤتمرين دوليين. المؤتمر العالمي الأول لتعليم الفنون، خريطة الطريق للفنون في التربية والتعليم، ٢٠٠٦ "تحت مسمي خريطة الطريق للفنون في التربية والتعليم"، الحاجة إلى الأبداع
المؤتمر العالمي الثاني لتعليم الفنون خريطة الطريق للفنون في التربية والتعليم، ٢٠١٠ "تحت مسمي "التربية الفنية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي والحوار بين الثقافات"
ويتم الأعداد للمؤتمر العالمي الثالث لتعليم الفنون، خريطة الطريق للفنون في التربية والتعليم، ٢٠١٤"

المؤتمر العالمي الأول لتعليم الفنون

خريطة الطريق للفنون في التربية والتعليم

الحاجة إلى الأبداع

الذي انعقد من ٦ إلى ٩ مارس ٢٠٠٦ في لشبونة، البرتغال

الهدف العام للمؤتمر:

التوصل إلى رؤية وإيجاد توافق حول أهمية تعليم الفنون لبناء مجتمع الإبداع والوعي الثقافي، وتشجيع التفكير والعمل التعاوني؛ والحصول على المصادر المالية والبشرية لضمان إعادة إدماج أكثر اكتمالا للتربية الفنية في نظم التعليم والمدارس.

- ١- استكشاف دور لتعليم الفنون يحقق الاجتماع على الحاجة إلى الإبداع والوعي الثقافي في القرن ٢١.
 - ٢- بناء الاستراتيجيات اللازمة لاستحداث أو تعزيز تعليم الفنون في بيئة التعلم.
 - تعزيز التفاهم المشترك بين جميع أصحاب المصلحة على أهمية تعليم الفنون ودورها الأساسي في تحسين نوعية التعليم.
 - تحديد التغييرات الملموسة والخطوات المطلوبة لإدخال أو تعزيز تعليم الفنون في الأوساط التعليمية (الرسمية وغير الرسمية)
 - وضع إطار متين للمستقبل واتخاذ القرارات والإجراءات لتحقيق هذه الأهداف.
- وقد تم طرح أسئلة مثل:
- ١- هل تعليم التربية الفنية هدف في حد ذاته، أو ينبغي أن ينظر إليه باعتباره وسيلة لتعزيز التعلم في المجالات الأخرى (أو كليهما)؟
 - ٢- هل تعليم التربية الفنية هدف في حد ذاته أو لتنمية مجموعة من المعارف والمهارات والقيم (أو كليهما)؟
 - ٣- هل تعليم التربية الفنية يقتصر علي عدد قليل من الموهوبين في فروع مختارة من الفنون أو تعليم الفنون للجميع؟

تظل هذه القضايا المحورية تثير جدلا وتحتاج إلى بلورة سواء من ممارسي الفن والمعلمين والمتقنين والطلاب وصانعي السياسات على السواء. خريطة الطريق هي محاولات للإجابة الشاملة على هذه الأسئلة، حيث تؤكد أن التنمية الإبداعية والثقافية يجب أن تكون الوظيفة الأساسية للتعليم. وبناء على ما سبق من تعزيز دور الجانب الأيمن من العقل في النجاح في العمل والسعادة في الحياة فقد تم تحديد الأهداف المعاصرة للفنون فيما يلي:

١. الحفاظ على حق الإنسان في التعليم والمشاركة الثقافية

لقد أكدت الإعلانات والاتفاقيات الدولية حق كل طفل وبالغ في التعليم، وأتاحه الفرص التي تضمن نموها كاملا ومتناسقا، يؤهله للمشاركة في الحياة الثقافية والفنية، وحيث أن الثقافة والفنون من المكونات الأساسية للتعليم الشامل الذي يؤدي إلى التنمية الكاملة للفرد. ولذلك فالفنون كجزء من التربية والتعليم حق عالمي للإنسان، و لجميع المتعلمين، بمن فيهم أولئك الذين غالبا ما يستبعدون من التعليم، مثل المهاجرين والأقليات الثقافية، والأشخاص المعوقين. هذه التأكيدات تنعكس في البيانات التالية حول حقوق الإنسان وحقوق الطفل.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

المادة ٢٢: لكل شخص، بوصفه عضوا في المجتمع... ويحق له إعمال الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي لا غنى عنها لكرامته وللنمو الحر لشخصيته.

المادة ٢٦: يجب أن يستهدف التعليم التنمية الكاملة لشخصية الإنسان وتعزيز احترام حقوق الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة الأنشطة التي تضطلع بها الأمم المتحدة من أجل صون السلم.

المادة ٢٧: لكل فرد الحق في أن يشترك اشتراكا حرا في حياة المجتمع الثقافي وفي الاستمتاع بالفنون والمساهمة في التقدم العلمي وفوائدها.

اتفاقية حقوق الطفل

المادة ٢٩: وتعليم الطفل يجب أن يكون موجها إلى...

- (أ) تنمية شخصية الطفل ومواهبه وقدراته العقلية والبدنية إلى أقصى إمكاناتها...
(ب) تحترم الدول الأطراف وتعزز حق الطفل في المشاركة الكاملة في الحياة الثقافية والفنية وتشجع على توفير فرص ملائمة ومتساوية للنشاط الثقافي والفني والاستجمام وأنشطة أوقات الفراغ.

المؤتمر العالمي الثاني لتعليم الفنون

خريطة الطريق للفنون في التربية والتعليم

"التربية الفنية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي والحوار بين الثقافات"

الذي انعقد من ٢٥ إلى ٢٨ مايو ٢٠١٠ في سيول كوريا

الهدف العام للمؤتمر:

تقييم خريطة الطريق من خلال طرح الوثيقة المنقحة التي تضمنت خلاصة توصيات وتعديلات ١٨٢ عضوا كمساهمات قبل عقد المؤتمر، توزيع الوثيقة على المشاركين في المؤتمر، بالتوازي مع عروض ومناقشات، ومتابعة من خبراء اليونيسكو لبلورتها بما يعكس الأولويات والرؤى المطروحة لقياس نجاح خريطة الطريق المذكورة.

تتلخص أهداف الوثيقة في مسعى تطوير التربية الفنية، وتأكيد دورها الهام في التحول الإصلاحي للنظم التربوية التي تكافح لتحقيق حاجات المتعلم في عالم سريع التغير، والذي يتميز بالتقدم التكنولوجي، والحاجة إلى مواجهة عدم العدالة الثقافية والاجتماعية، وتعرض الوثيقة لقضايا أخرى مثل السلام – التعددية الثقافية – التفاهم المتبادل بين الثقافات. والحاجة إلى قوة عمل مبدعة ومتوافقة في محيط اقتصاديات ما بعد الصناعة والدور الجوهري للتربية الفنية في حل المتغيرات والتحديات الثقافية المعاصرة، من خلال توافر مستوى رفيع من المفاهيم والآليات المرتبطة بإعداد برامج الفنون.

وقد تبنى مؤتمر سيول الأهداف الثلاثة التي تم تحديدها في مؤتمر اليونسكو الدولي الأول الذي عقد في باريس ٢٠٠٢، والتي طرحت فيها خريطة الطريق لتعليم التربية الفنية في القرن الحادي والعشرين، وتعديلان مؤتمر لشبونة بالبرتغال في ٢٠٠٦.

- ١- تأكيد ضمان دوراً محورياً للتربية الفنية كمحتوى أساسي ومتواصل في برامج التطوير التربوية.
- ٢- تأكيد وصول أنشطة التربية الفنية إلى مستوى رفيع من المفاهيم والتطبيقات.
- ٣- الاستعانة بمفاهيم وتطبيقات التربية الفنية كقوة دافعة لحل المشكلات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تواجه العالم المعاصر.

الأعداد للمؤتمر العالمي الثالث لتعليم الفنون

- الهدف ١: التأكيد على أن الفنون متاحة كأساس للتنمية الإبداعية والمعرفية والعاطفية والجمالية والاجتماعية المتوازنة في التعليم للأطفال والشباب وللتعلم مدى الحياة.
- الهدف ٢: التأكيد على أن أنشطة التربية الفنية والبرامج ذات جودة عالية من حيث الأعداد والتطبيق.
- الهدف ٣: تطبيق المبادئ التربوية والتطبيقية لتعليم الفنون للمساهمة في حل التحديات الاجتماعية والثقافية التي تواجهها في عالم اليوم.

الخلاصة:

عالجت الدراسة محتوى الوضع الراهن في تعليم التربية الفنية في مصر، من منظور القرن العشرين الذي يركز على الأنشطة الفنية الترفيحية الموجهة في الأساس للتلاميذ الموهوبين، ضمن منظومة التعليم التي تستهدف حشد المعارف والانضباط السلوكي، وهيمنة دور المعلم وتهميش دور التلميذ في العملية التعليمية. وتقدم الدراسة في مواجهة ذلك قراءة معاصرة لمتطلبات القرن الحادي والعشرين من تعليم الفنون في ضوء الدراسات الرائدة ونتائج المؤتمرات الدولية المعنية بهذا الموضوع، والقرارات واللوائح التي أصدرتها بعض الدول لتحقيق هذه التوجهات المعاصرة.

تقدم الدراسة تصورا موضوعيا وعمليا للتجاوب التفاعلي مع المتغيرات الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تتطلب انفتاحا يربط تعليم الفنون بالعلاقات البيئية، وبحياة التلميذ من خلال فهم عمق واستمرارية التفاعل المعرفي والمهاري والقيمي في سياق معاصر يربط بين الخبرة الفنية والثقافية والاقتصادية والسياسية للقرن الحالي، أتجاه ديمقراطي وموضوعي متعدد المصادر، مرتبط بالحساسية الاجتماعية، والتأهب لمواجهة المواقف والأزمات بالمخاطر المحسوبة والتأهيل للمنافسة الدولية في مجال سوق العمل وبناء حساسية من خلال المتعة والأبداع والتجديد والتعاطف والإلهام، والربط بين العناصر والأحداث لبلورة ما هو جديد، من خلال تنشيط وظائف الجانب الأيمن من العقل الذي يمهّد لاكتساب المفاهيم العليا والأحاسيس المرهفة. حيث يكون لممارسة الفنون دورا محوريا وأحيانا فريدا.

المصادر:

- 1- 21st Century Curriculum and Instruction, Partnership for 21st century skills, 2007.
- 2- Abbott. J. and others. Over schooled but under educated, the 21st century learning Initiative, Pre-Production edition, 2008.

- 3- Ballengee-Morris, C. & Stuhr, P. L. Multicultural art and visual cultural education in a changing World. *Art Education*, 2001.
- 4- Brake, M. *The sociology of youth culture and youth sub-cultures*, London: Routledge & Kegan Paul. 1980.
- 5- Bruno Frey .*Arts & Economics. Analysis & Cultural Policy* Berlin, Heidelberg, New York: Springer Verlag, 2000 .
- 6- Burger, K. & Winner, E. Instruction in visual art: Can it help children learn to read? , *Journal of Aesthetic Education*, 34 (3-4) , 2000.
- 7- Charles Landry. *The Creative City: A Toolkit for Urban Innovators*. London: Earth scan, 2000.
- 8- Deasy, R. *The Arts Education in the 21st Century* University of Maryland, College Park, 2008. Friedman, T.L., *The World is Flat*, Farrar, Straus and Giroux, NY, 2005.
- 9- Deborah J. Bickford Monica, *Reflections on Artful Teaching*, *Journal of Management Education*, Vol. 21, No. 4, 1997.
- 10- Dennis Earl Fehr. *Promise and paradox: Art education in the postmodern arena*, *Studies in Art Education*, V 35, N 4, 1994.
- 11- *Developing a framework for 21st century learning partnership for 21st century skills*, NSBA-High School Reform: *Redefining Rigor for the 21st century* April 15, 2007.
- 12- Eisner, E.W. *The arts and the creation of mind*. New Haven, CT; Yale University Press, 2002.
- 13- Ellen Winner. *Studio Thinking: How Visual Arts Teaching Can Promote Disciplined Habits of Mind*. Harvard Graduate School of Education, 2006.
- 14- Fiske, E. (Ed.). *Champions of change: The impact of the arts on learning*. Washington, D.C.: Arts Education Partnership and President's Committee on the Arts and Humanities, 1999.
- 15- Franco Bianchini and Michael Parkinson. *Cultural Policy and Urban Regeneration: The West European Experience*. Manchester: Manchester University Press, 1993 .
- 16- Graham Hall, *Local Approaches to Critical Pedagogy: An investigation into the dilemmas raised by critical approaches to ELT*, 2021.
- 17- <http://aeparts.org> Eder, E., *Learning to teach through art & technology*, August 19, 2008. Knowledge works foundation, National Education Association, K12: leaning point associates, socialist education. Fordmatar company fund, Intel, JA worldwide.
- 18- Dobbs, S. M. MacGregor, Ronald N. *Post-Modernism, Art Educators and Art Education: ERIC Digest*. ED348328, 1992.
- 19- Murfee, E. *Eloquent evidence: Arts at the core of learning*. Report by the President's, Committee on the Arts and the Humanities, 1995.
- 20- Parry, J., *the 21st century learning skills that drive a knowledge-Based Economy, Synergizing for success*, 2006 .
- 21- Pink. D.H., *A Whole New Mind*, the penguin Group, New York, USA, 2005.
- 22- Solpeter. J., *21st century skills, will our students be prepared*, October 2003.
- 23- www.ling.lancs.ac.uk/groups/crile/docs/crile48hall.pdf